

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(98) والارشاد حيث قال: (وَقَسَمَهُمَ أَهْمًا إِنَّنِي لَكُم مَّا لَمِنَ

النَّاصِحِينَ). (1) وهذا يكشف عن أن خطاب سبانه إليهما كان بصورة النصح أيضاً، وهذا واضح لمن له أدنى إلمام بأساليب الكلام. فهذه القرائن وغيرها الموجودة في الآيات الواردة حول قصة آدم (عليه السلام) تدل بوضوح على أن النهي في هذا المقام كان نهياً إرشادياً لا مولوياً، وكان الهدف ترقية آدم (عليه السلام) بعيداً عن عوامل الشقاء والتعب، ولكنه لم يسمع قول ناصحه فعرض نفسه للشقاء، وصار مستحقاً لأن يخاطب بقوله سبحانه: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) (2) وقوله سبحانه: (قَالَ اهْبِطَا مِنْ هَاهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (3) أضف إلى ذلك أن الطرف الذي تلقى فيه آدم هذا النهي، (النهي عن الأكل من الشجرة) لم يكن طرف تكليف حتى تعد مخالفته عصياناً لمقتضاه، فإن طرف التكليف هو المحيط الذي هبط إليه مع زوجته بعد رفض النصح، أمّا ذلك المحيط فكان معداً لتبصير الإنسان بأعدائه وأصدقائه، ودورة تعليمية لمشاهدة نتائج الطاعة وآثار المخالفة، أي ما يترتب على قبول قوله سبحانه من السعادة، وما يترتب على قبول قول إبليس من الشقاء، وفي مثل ذلك المحيط لا يعد النهي ولا الأمر تكليفاً، بل يعد وسيلة للتبصير وتحصيل الاستعداد لتحمل التكاليف في المستقبل، وكانت تلك الدورة من الحياة دورة إعدادية لآبى البشر وأُمّهم، حتى يلمس الحقائق لمس اليد، _____ 1 . الأعراف: 21، 2 . الأعراف: 24، 3 . طه: 123.